القصة الشعرية عند الحطيئة "قصيدته الميمية" أنموذجا

أ.م.د. محمد صالح رشيد م.م. ايمن احمد جاسم
جامعة تلعفر / كلية التربية الاساسية

تاريخ استلام البحث : ١٦ / ١ / ٢٠١٧ تاريخ نشر البحث :٢٠ / ٤ / ٢٠١٧

ملخص

يقدم هذا البحث دراسة تحليلية لقصيدة الحطيئة (الميمية) كأنموذج عن القصة الشعرية ، وقد وقع إختيارنا على هذه القصيدة ؛ لوضوح عناصر الفن القصصي فيها، إذ تكاد تكتمل فيها كل عناصر القصة من حدث وشخصيات ومكان وزمان وعقدة وحل .

وبدأتُ البحث بتوطئة عامة عن القصة الشعرية في الأدب العربي القديم، تلاها التعريف بالقصة الشعرية ، ثم انتقلت إلى درس الجانب القصصي في القصيدة، فبدأت بالحديث عن المشاهد الدرامية التي تضمنتها القصة ، ثم ألقيتُ الضوء على العناصر الأساسية للقصة الشعرية ، وصولا إلى الخصائص الفنية والخاتمة .

توطئة :

ـ القصة الشعرية في الأدب العربي القديم

عُرفت القصة في الأدب العربي منذ عصر ماقبل الإسلام، ولكنَّها قصة من لون آخر إذ عولجت بالشعر لا بالنثر ؛ لأن الشعر في الأداب سابق على النثر " فمن المتعارف عليه لدى أهل الأدب أن الحياة الأدبية قد بدأت شعرا ، وأن الشعر وجد فيها قبل النثر ، فالأمم التي لها آداب قبل أن تعبر عن العواطف وميولاتها بالنثر ، عبرت عن ذاتها بالشعر " [١]. وإن كان النثر من حيث الحديث العادي أقدم من الشعر وأسبق " إذ من السابق تاريخيا إن الإنسان قد تكلم قبل أن ينظم الشعر، وكان هذا الكلام نثرا لا شعرا " [٢]. لذلك لاغرو أن تكون القصة الشعرية من أجل ذلك أسبق من القصة النثرية في الآداب على اختلافها.

ولو رجعنا إلى الشعر العربي القديم ولاسيّما الشعر الجاهلي، لعثرنا على أجزاء كثيرة من القصائد التي تتجلى فيها ملامح القصة وسماتها العامة ، وإن لم تؤلف بالأسلوب القصصي الحديث ، ولكنها قصص بمعنى من المعاني أو هي سرد قصصي لحوادث معينة ، أو قصص لأخبار شخصية أو تجارب ذاتية ، " فمعظم المعلقات تتضمن ذكرى حوادث جرت للشاعر يقصها في جزء من قصيدته على سبيل التفاخر بنسبه أو شجاعته في الحروب ، وربما تناول فيها جانبا من مغامراته ، أو قص علينا بعض الأخبار الماضية إلى غير ذلك من ألوان القص"[٣]. وحسبنا أن نشير إلى معلقة امرئ القيس مثلا المؤلفة من قرابة ثمانين بيتا يهيمن فيها السرد القصصي والحوار على نصفها ، أو شعر الصعاليك الذي يُعد من أثرى النماذج بالقصة الشعرية .

ـ القصة الشعرية "الوجود والظهور"

إن النصوص الشعرية العربية القديمة بعامة والإسلامية بخاصة، لا تخلو من نفحات تستند بشكل جلي على إحدى تقنيات جنس أدبي آخر ، والمتمثل في عنصر القص الشعري ، أي يتمظهر التداخل بين جنسي

القصة والشعر ، مما يفترض عدم وجود جنس أدبي خالص ،ويوحي بتمظهر تعالقات بين هذين النوعين الأدبيين ،والتي تكشف مظاهر هذا التبادل التأثري الناتج عن المزج بين خصائصها الفنية ، والذي يقضي على الحدود الفاصلة بينهما ، لتضفي على النص الأدبي خصائص فنية وجمالية تحدد خصوصيته ، وتعلن ولادة جنس أدبي جديد هو القصة الشعرية .

والقصة الشعرية : هي التي تجمع بين خصائص جنسين أدبيين هما :الشعر والقص، أي" تلك القصة التي تؤسس أو تبنى على القص (السرد)[٤]، وهذا يفرض " توفر النص الشعري على حكاية ، أي على أحداث حقيقية أو متخيلة ،تتعاقب وتشكل موضوع الخطاب ومادته الأساسية"[٥]. فلكل محكي موضوع ينطوي على حدث أو مجموعة من الأحداث تقوم به شخصيات تقع في زمان ومكان معين ، يرويها قاص (سارد)، وبالتالي نصل إلى امكانية تداخل نصي بين جنسي القصة والشعر ، وإن (ظل كل جنس محتفظ بهويته)[٦]. إذ إن " اقتراب الشعر من القصة باصطناع لغة القص (السرد)، لايُعد تحولا يفقد الشعر نكهته وخواصه المميزة له "[٧].وإنما تتعالق فيه خصائص الشعر والقص ؛ لتنسج بالأخير ما يمكن أن نطلق عليه (القصة الشعرية)، وهي "نمط يقف على حافة القصة "[٨]؛

لأنها تشتمل على معظم تقنيات القص ،إذ تكون القصة الشعرية التي " تجمع بين شكلين لكل منهما أهمية كبرى في الأدب ،وإذا كان الشعر يصور جانب الحياة نفسها ووقائعها ولحظاتها ، فإن القصة الشعرية تجمع بين هاتين الصورتين ، وتجعلنا نحيا التجربة النفسية الواحدة في نطاق أوسع "[٩].

واستنادا إلى ما ذكر فإن الحطيئة في قصيدته الميمية قد تجرد عن غنائيته ، واتجه إلى السرد القصصي، ليقدم لنا قصة شعرية تحتوي على صور ومشاهد حسية ،لأحداث سردية مفعمة بالحركة والحوار، وتعبر عن الصراع العاطفي في ذات الشاعر وعمق نفسيته وحياته، فيقول [١٠]:

١-	وطاوي ثلاثٍ عاصِبِ البطنِ مُرمِلٍ		بِتَيْهاءَ لَمْ يَعْرِفْ بِهَا سَاكِنٌ رَسْمَا
٢	أخي جفوةٍ فيهِ مِن الإنسِ وَحْشَةٌ		يَرى البؤسَ فِيْهَا مِنْ شَراستِهِ نُعمَى
٣	وأفردَ في شعبٍ عجوزاً إزاءَها		ثلاثة أشباحٍ تَخالُهم بُهمَا
٤	حُفاةٌ عُراةٌ ما اغتذوا خُبزَ مَلَّةٍ		ولا عَرفوا لِلبُّر مذ خُلِقوا طَعْمَا
٥	رأى شبحاً وَسْطَ الظلامِ فَراعَهُ		فلمّا بدا ضَيفاً تسوَّروا وهتمَّا
٦	وقالَ هَيَا ربَّاهُ ضَيفٌ ولا قِرى		بحقِّكَ لا تَحرمْهُ تا لليلةَ اللَّحمَا
٧	وقال ابنُهُ لَمَّا رآهُ بحِيرةٍ		أيا أبتِ اذبحني ويَسِّر لهُ طُعمَا
٨	ولا تَعتذر بالعُدمِ علَّ الذي طرا		يظنُّ لنا مالا فيوسعنا ذمَّا
٩	فَرَوّى قَليلاً ثمّ أحجمَ برُهةً		وإنْ هُو لَمْ يَذبحْ فَتاهُ فقد هَمّا
١٠	فَبَيْنَا هُمَا عنَّت على البعدِ عَانةٌ		قد انتظمت من خَلفِ مِسحلِهَا نظمَا
١١	عِطَاشًا تُريدُ الماءَ فانسَاب نحوها		على أنّهُ مِنهَا إلى دمها أظمى
١٢	فأمهلها حتى تروَّت عِطاشُها		فأرسَل فيها من كنانتهِ سَهمَا
١٣	فخرَّت نُحوصُ ذاتُ جحشٍ سمينةٌ		قد اكتنزت لحماً وقد طبّقت شحمَا
١٤	فيا بِشرَهُ إذ جرَّهَا نَحْوَ قَومِهِ		ويَا بِشرهُم لمّا رأوا كلمَهَا يَدمى
١٥	فباتوا كراماً قد قضوا حقّ ضيفهم		فلم يغرموا غُرمًا وقد غنموا غُنما
١٦	وبات أبوهُم من بشاشتهِ أباً		لضَيْفِهِمُ والأُمُّ من بِشْرهَا أُمّا

دراسة جانب القص في القصيدة

ـ تحليل مشاهد القصة

احتوت القصة الشعرية على أربعة مشاهد ، تمثل الأفكار الرئيسة فيها ، وهي كالآتي :

المشهد الأول : مشهد وصفي مليء بالأسى ، يقدم بيئة القصة بما فيها من طبيعة جغرافية واقتصادية واجتماعية ، فضلا عن الشخصيات ،رجل له امرأة عجوز وثلاثة أبناء ، فيبدأ المشهد بوصف حال الأب وما يبدو عليه من علامات البؤس والفقر ، فهو يعاني من الجوع منذ ثلاثة ليالٍ، ويظهر الأب وقد عصب بطنه بعد نفاد زاده في الصحراء الخالية من السكان ، ولا يبدو عليه أي أثر للنعمة ، يعاني من الوحشة والوحدة ما يعاني حتى بات يرى فقره نعمة ، مقارنة مع ما يعانيه من وحشة . ثم ينتقل بنا إلى وصف حال أبنائه وزوجته ، الذين يعيشون من دون طعام أو شراب ، وتبدو عليهم قسوة الحياة ، حفاة عراة ما عرفوا خبز ملة ، فهذا الحرمان وهذا الجوع حولهم إلى أشباح فهم لايعرفون للخبز طعما مذ خلقوا .

المشهد الثاني : مشهد سردي حواري مليء بالقلق مصغر، يدور بين الأب وأحد أبنائه حول اكرام ضيف قادم عليهم ، ويبدأ عندما يرى الأب شبحا قادما من بعيد ، هذا الشبح أثار في نفسه الخوف والريبة ،ولكن عندما تبين أنه ضيف ثار وانفعل ، واعتراه الهم خشية الفضيحة، وشرع بالتوسل إلى الله سبحانه أن يرزقه الطعام ؛ ليقدمه للضيف ، وعندما رآه ابنه في حيرة من أمره قال له : اذبحني وقدم له لحمي طعاما ولا تعتذر له حتى لايظن الضيف أن لدينا الطعام ونمنعه ، فيذهب بنا ذما بين القبائل . بدأ الأب التفكير بالعرض المفاجيء الذي قدمه الابن ، وبعد تفكير عميق بين التردد والقلق هم بذبحه .

المشهد الثالث : مشهد حركي اندفاعي مليء بالحذر ، يصور انطلاق الأب ؛لاكرام ضيفه . ويبدأ عندما يلمح الأب مقدم قطيع من الحمر الوحشية من بعيد ، في تلك اللحظة وبصورة سينمائية ، تظهر من بعيد قطعان من الحمر الوحشية ، تقصد عين الماء فينساب الأب نحوها ، ويمهلها ؛ لتروي عطشها ، فيخرج سهما من كنانته ، فيصطاد من بينها واحدة سمينة ، وفي ذلك بشر لأهله وتخلص من دائرة الاحراج أمام الضيف .

المشهد الرابع : مشهد وصفي مليء بالفرح ، يصور عودة الأب بصيده ، وفرح أهله بهذا الصيد . ويبدأ بوصف فرحة الأب وهو يجر صيده إلى عائلته وما أكثر سرورهم عندما شاهدوا الطريدة بين يديه تنزف دما ، وقد مضوا ليلتهم يقدمون الطعام للضيف ، وبذلك قاموا بواجبهم تجاهه ، وماخسروا ؛ بل كانوا رابحين ، فامسى الأب من شدة سروره كأنه أب للضيف ، وامست الأم في حنانها ورعايتها كأنها أم له .

ـ عناصر القصة الشعرية

تستعين القصة في بنائها بعناصر عدة أهمها الحادثة المسرودة سردا فنيا ، والمرتبطة مع غيرها من الحوادث ، تحركها الشخصيات في مكان وزمان معينين . وإذا اتفقنا على أن هذه هي العناصر الأساسية في

بناء القصة الشعرية ، فإن هناك عناصر أخرى مساندة لما ذكر ، وقد برزت في هذه القصة الشعرية العناصر الفنية الآتية :

أولا: الحدث

وهو "مجموعة الأفعال والوقائع ،مرتبة ترتيبا سببيا تدور حول موضوع عام ، وتصور الشخصية وتكشف عن أبعادها ،وهي تعمل عملا له معنى ، كما تكشف عن صراعها مع الشخصيات الأخرى ، وبهذا تكون الأحداث المحور الأساس الذي ترتبط به باقي عناصر القصة ارتباطا وثيقا كارتباط الخيوط معا في نسج واحد محكم "[١١].

وإذا نظرنا إلى الأحداث في قصة الحطيئة ، من حيث التسلسل والتتابع ، نجد أن القصة "تقوم على أحداث مترابطة ، يأخذ بعضها برقاب بعض "[١٢]. بحيث يصبح "من الصعب إلغاء حادث واحد أو نقله من مكانه إلى مكان آخر في بنية القصة دون أن تنهدم الوحدة المتكاملة للعمل "[١٣]. وإذا تتبعنا سرد الأحداث في قصة الحطيئة ، نجدها قد جاءت على النحو الآتي :

الحدث الأول : يبيت الأب على الجوع ثلاث ليال .

الحدث الثاني : عزل أسرته في شعب بعيد عن المجتمع .

الحدث الثالث : رؤية الشخص الغريب والخوف منه، ثم التأكد من شخصيته .

الحدث الرابع : التوجه إلى الله سبحانه ،بالدعاء وطلب الفرج بإكرام الضيف .

الحدث الخامس : مبادرة الابن التضحية بنفسه من أجل سمعة أهله .

الحدث السادس : بروز قطيع من الحمر الوحشية من بعيد .

الحدث السابع : تحرك الأب للقطيع بحذر خشية هروبها .

الحدث الثامن : امهال الأب للقطيع بالشرب والراحة .

الحدث التاسع : اصطياد احدى الأتن الوحشية السمينة .

الحدث العاشر : جر الأب للفريسة نحو أهله ، وهو مستبشر وهم مستبشرين عند رؤية دماء الفريسة تسيل من جرحها .

الحدث الحادي عشر : قضاء حق الضيف بإطعامه ، وشعور الأب والأم لمعاني أبوتهم، وسعادتهم بما حصل .

ثانيا: الشخصيات

بين الأحداث والشخصيات علاقة وشيجة ، إذ لا أحداث بلا شخصية والعكس أيضا ،"فلأجل أن تتحقق للحدث وحدته ، يجب ألا يقتصر على تصوير الفعل دون الفاعل ؛ لأن الفعل والفاعل أو الحدث والشخصية شيء واحد ، لايمكن تجزئته فإن اقتصر تصويرنا على الفعل وحده لما استطعنا أن نصور الحدث كاملا ، بل لما استطعنا أن نصور الحدث على الاطلاق ،إذ يجيء ما نكتب خبرا ، وإن كنا نريد له أن يكون قصة ."[١٤]

وإن البحث عن الشخصية ،يتسم دائما من خلال أربعة أبعاد : الأول :البعد الجسمي ، ويتمثل في الطول والعرض والشكل العام . والثاني : البعد الاجتماعي : ويتمثل في المكانة الاجتماعية التي تشغلها الشخصية القصصية في مجتمعها . والثالث : البعد النفسي : ويتمثل في الحالة النفسية التي تعيشها هذه الشخصية . والبعد الرابع : البعد الفكري : ويتمثل في درجة تفكيرها وثقافتها ." [١٥] وقد تكون "الشخصية القصصية

حقيقية أو خيالية ، وليس من الضروري أن تظهر كل الأبعاد بنفس الدرجة".[١٦] ولما كانت الشخصية بمكان لا يخفى من العمل القصصي "كانت عناية القاص في المحل الأول أن يجيد رسم شخصياته ، وأن يجعلها في أقوالها وأعمالها مطابقة لمنطق الحياة التي أراد لها المؤلف أن تعيش فيه ".[١٧] وإذا نظرنا إلى الشخصيات التي برزت في قصيدة الحطيئة ، نجدها على الشكل الآتي :

الشخصية الأولى : الأب : رجل غليظ الطبع ، فاسد الرأي ، يحب العزلة الاجتماعية ؛ لكنه مهتم بعادات مجتمعه ، وقد حضر في جميع مشاهد القصة .

الشخصية الثانية : الأم :عجوز، تظهر في المشهد الأول عجوزا ،وفي المشهد الأخير أما فرحة .

الشخصية الثالثة : الأبناء عددهم ثلاثة ، نحيلو الأجساد ، يتحركون حول أمهم ، ولا يظهرون إلا في المشهد الأول ، ثم يظهر واحد منهم في المشهد الثاني ، من خلال حوار مع والده .

الشخصية الرابعة : الضيف : رجل غريب ، يظهر في المشهد الثاني ، ولا يقدم له القاص أي وصف ، سوى أنه ضيف ، ثم يذكر اسمه في المشهد الأخير، من دون أن يكون له دور ذاتي

الشخصية الخامسة : قطيع الحمر الوحشية ، تسير خلف مسحل يقودها إلى منبع الماء ؛ لتشرب وترتوي بصورة منتظمة ، وتظهر في المشهد الأخير.

الشخصية السادسة : الاتان الوحشية : وهي أنثى الحمار الوحشي ، يصطادها الأب ، فيجدها سمينة مليئة اللحم والشحم، ويجد عندها جحشا صغيرا .

ثالثا: الحبكة والحل

هي مجموعة "الأحداث المتسلسلة تسلسلا زمنيا ، والخاضعة لمنطق السبب والنتيجة ، فالوقائع والأحداث لابد أن تنتظم بشكل خاص ، ضمن ترتيب زمني معين ، لتكون الخيط الذي ينتظم فيه السرد ، فتصبح هذه الأحداث المسرودة ، بناء فنيا متماسك الأجزاء يؤدي هدفه المنشود "[١٨]. والحبكة تنتظم في الغالب في بناء متصاعد ، أولا يبدأ بالمقدمة الدرامية ومنها نقطة الانطلاق والحدث الصاعد ، ثم تأتي الاكتشافات التي لم تكن في السياق ، لتصل الحبكة نهايتها بحل العقدة [١٩]. والحدث الدرامي لابد أن يكون له بداية و وسط ونهاية " [٢٠] . ويمكن تحديد الحبكة في قصة الحطيئة من خلال تتبع اللحظات التي بدأت عندها الأحداث بالتأزم وصولا إلى ذروة الحدث ، ثم الحل والانحدار نحو النهاية ، وهي كالآتي :

التأزم الأول : لحظة رؤية الشبح .

التأزم الثاني : لحظة التأكد من شخصية القادم من بعيد .

التأزم الثالث : لحظة محاورة الابن لأبيه ، وعرض التضحية .

التأزم الرابع : ظهور قطيع من الحمر الوحشية .

التأزم الخامس : لحظة انتظار القطيع أثناء الشرب .

التأزم السادس : لحظة الاصطياد .

ثم يأتي الحل وتنحدر الأحداث لتنعكس مسيرتها ، بشكل مغاير عما كانت عليه من قبل ، فصارت كالآتي :

الحل الأول : الانتقال من الأسى والجوع والفقر إلى الرضا والشبع .

الحل الثاني : الانتقال من القلق والاضطراب إلى الراحة والطمأنينة .

الحل الثالث : الانتقال من الحذر والخوف إلى الأمن والأمان .

رابعا: المكان

وتحديده " يعطي الحدث القصصي قدرا من المنطق والمعقولية "[٢١]. فالقصة تكون أوضح ، والقارىء يتمكن من تخيلها بشكل أقوى ، إذا ما وضع كاتبها مكانا ما تدور عليه أحداثها . وقد حدد الحطيئة المكان بشكل يخدم قصته ، وقد دارت أحداث القصة بتسلسل مكاني يظهر على النحو الآتي :

المكان الأول : التيهاء (الصحراء).

المكان الثاني : الشِّعْبُ : وهو الشق بين جبلين .

المكان الثالث : المنزل : (الخيمة) وهو المكان الذي دار فيه الحوار بين الأب وابنه ، والشاعر لم يشر من قريب أو بعيد إلى هذا المكان سوى في المشهد الأخير بقوله: (فباتوا ...)، والمبيت لايكون إلا في منزل ، ولاشك أن هذا التجاهل له دلالته في تصوير طبيعة الحياة في تلك اللحظة.

المكان الرابع : نبع الماء : وهو المكان الذي سعى قطيع الحمر الوحشية إلى الوصول إليه ، للحصول على ما يبقيها على قيد الحياة ، فترتوي وترتاح .

المكان الخامس : المنزل(الخيمة) مرة أخرى ، ولكنه الآن يظهر بصورة كلها حياة وفرح وسكينة وأمان ، بعد أن تحقق لهذه الأسرة ما تتمناه من قوت يومها .

خامسا: الزمن

(الزمن المتتالي النمطي الصاعد) ، في هذا الاتجاه "يتبع نسقا زمنيا ، إذ يرتب القاص الأحداث ترتيبا زمنيا صاعدا "[٢٢]. أي ترتيب الأحداث من الحاضر إلى المستقبل ، وتبدأ فيه القصة عادة بوضع البطل في اطار زمني معين ، ثم يأخذ القاص في الحديث عنه في مرحلة معينة من حياته أو من نشاطه ، وفي هذا النسق الزمني ، يبنى التأزم الدرامي شيئا فشيئا من خلال تصوير الآمال والرغبات الشخصية للبطل والعقبات التي تعترض طريقه في سعيه، لتحقيق ما يرغب ويأمل فيه . وهذا النظام الزمني الذي ترد عليه الأحداث في ترتيبها الزمني التصاعدي يتسم بالخطية ، والخطية في النظام الزمني تعني " أن الأعمال إنما تجري وفق قوانين الحياة والزمن أي متتالية الأطوار في القصة الواحدة" [٢٣]. ولعل ما يهمنا في هذا القول على وجه الخصوص أن " جميع ما يقص يحصل في الزمن ويجري مجرى زمنيا وجميع ما يجري في الزمن يمكن أن يقص " [٢٤]،

والشاعر لايذكر الزمن من باب التزايد ، ولا يكون ذكره له عشوائيا ، بل إن تحديد الزمن يحمل دلالات عديدة وله أثر على بقية عناصر القصة . ويمكن تتبع الألفاظ التي تحمل دلالات زمنية في هذه القصة على وفق ظهورها وعلى النحو الآتي :

أولا: جرت معظم أحداث القصة في الزمن المظلم (الليل)، ولا اشارة من قريب أو بعيد إلى النور أو الضياء .

ثانيا : نلحظ في البيت الأول قوله : (وطاوي ثلاث) ، لفظة زمنية دلت على أن الرجل فقير لم يذق طعم الأكل منذ ثلاث ليال .وفي قوله : (رأى شبحا وسط الظلام)، فقد أعطت لفظة الليل عنصر المفاجأة ،هذه المفاجأة التي أثارت في نفس البطل الخوف والفزع ، ولولا هذه المفردة الزمنية لما كانت المفاجأة ، ففي وسط الصحراء وفي ليلة مظلمة ، يظهر شبح يدفع بأحداث القصة إلى الأمام ،ويخلق التشويق اللازم عند المتلقي .

وفي قوله :(بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما)، ففي هذه الليلة دعا الأب ربه سبحانه وتعالى أن يرزقه ، و أن لايحرم ضيفه من اللحم .وفي البيت التاسع تظهر اللفظة الزمنية (بُرهة) وهي الفترة الزمنية القصيرة ، في

قوله : (فروَى قليلا ثم أحجم برهة)، والتي دلت على أن البطل أخذ وقفة زمنية يفكر فيها بالعرض الذي قدمه الابن ، وهي التضحية بنفسه للضيف ، وهذه الوقفة الزمنية تساعد في تحريك مشاعر المتلقي، وتدفعه إلى اكمال القصة لمعرفة ما سيحدث.

وفي البيت الثاني عشر نلمح لفظة (تروت)، أي الانتظار ،في قوله :(فأمهلها حتى تروت عطاشها)، وقد أعطت هذه اللفظة دلالة على حرص الأب على نيل الصيد ؛ لذلك تمهل في صيده ، واتخذ كل الاحتياطات اللازمة التي تمكنه من ذلك الصيد ؛ ليجنب نفسه ذلك الشعور بالخيبة والهلاك ؛ لأن هذا الصيد هو الفرصة الوحيدة ،لانقاذ الموقف . وفي البيت الخامس عشر تظهر لنا لفظة (باتوا)، لتوحي بالسكينة والاستقرار ، فلفظة المبيت المقترنة بالمكان ، دلت على أن العائلة قد امضت ليلتها في بيتها سعيدة مطمئنة ، تقدم الطعام للضيف احتفاء به واكراما له .

ثالثا : ويمكن لنا أن نستخلص الزمن من خلال صيغ بناء الأفعال الدالة على الزمن ، إذ إن الأفعال المتضمنة في القصيدة تندرج ضمن زمن الماضي كـ (أفرد ، عرفوا ، خلقوا ، رأى ، راعه ، تسور ، اهتما ، رآه ، روَى ، عنت ، انتظمت ،لم يعرف ، ارسل ، خرت ، بات ،...) إذ توزعت الأفعال بين ماض قاتم وحاضر سار فاعل متجدد.

ـ الخصائص الفنية

وهي صور التعبير التي يصوغ بها الكاتب قصته ، وتشمل اللغة والصور البيانية والموسيقى وما إليها من عناصر الصياغة ، إذ تتجلى فيها براعة القاص (الشاعر) ، في عرض الأحداث ومدى تأثيرها على المتلقي ، وفيما يلي عرض لهذه العناصر :

أولا : اللغة

أبدع الشاعر في اختيار ألفاظ قصته الشعرية ، والتي جاءت منسجمة مع الجو العام ، ففي المشهد الأول وظف الشاعر لوصف حال الأب والزوجة والأبناء، ألفاظا تحمل دلالات الفقر والوحشة كـ(طاوي ، عاصب البطن ، مرمل ، أخي جفوة ، بؤس ، أشباح ، حفاة ، عراة ، ...)، وهي صيغ اسمية دالة على الثبات والاستقرار ، وجاءت مناسبة لحال هذه العائلة في ثبات الفقر والبؤس والجوع عليها . وفي المشهد الثاني ، وظف الشاعر ألفاظا تحمل دلالات الاضطراب والقلق من المجهول ، ووصفا للحالة الانفعالية التي اصابت الأب ؛ نتيجة لمقدم الضيف وعدم وجود ما يقدم ك(تسوَّر ، راعه ، جره ، هما ، رآه ، اذبح ، يسَّر ، تعتذر ، يظن ، يوسعنا ، روَى ، أحجم ...)، وقد أسهم توظيف الأفعال في هذا المشهد في تجدد الحدث ، ووقوعه شيئا فشيئا ، فضلا عن التصعيد الدرامي للأحداث وخلق العقدة .

والحالة النفسية التي عاشها الأب عند مقدم الضيف ، دفعته إلى الاستغاثة ، وقد أبدع الشاعر في رسمها من خلال استخدام أساليب الاستغاثة والقسم والدعاء كـ(هيا رباه ضيف ولا قرى)، (بحقك لا تحرمه تالليلة اللحما)، للدلالة على حجم المعاناة والقلق والحاجة الماسة لاستجابة الله سبحانه وتعالى لدعائه. وحتى في المشهد الثالث (ورود الحمر الوحشية الماء)، رسم الشاعر صورهم بطريقة هندسية ، مع تخيره للألفاظ المعبرة كقوله : (إذ انتظمت خلف مسحلها ..)، و(المسحل) هو القائد الذي يوفر لقطيعه الكلأ والماء . ثم قوله: (فانساب نحوها)، وقد وظف هذا الفعل في محله ، للدلالة على طبيعة الحركة المناسبة للحالة النفسية ، فحروفه ذات إيقاع خفيف يصور حالة الحذر والهدوء والخفة، تجنبا لإصدار أي صوت يثير

القطيع . ثم جاء الفعل في قوله (أرسل من كنانته سهما) ، فقد أحسن الشاعر في توظيف (أرسل)، للدلالة على الهدوء والثقة ؛ ولذلك كانت رميته صائبة ، في حين لو استخدم الفعل(رمى)،لكانت رميته طائشة.ثم نلحظ قوله: (فخرت نحوص...)،استخدام الفعل الماضي المسبوق بالعطف، الذي يفيد التعقيب دون المشاركة، إذ ما قبله سببا فيما بعده ، لتدل على سقوط الاتان بعد اصابتها بالسهم سقوطا لا ارادیا ، لدقة الاصابة ، وسرعة السقوط ، لأنها عظيمة الجثة ثقيلة الوزن ممتلئة باللحم والشحم. وهكذا جاءت الألفاظ معبرة بشكل دقيق عن الصيد الثمين المنتظر.

ثانيا : الموسيقى الشعرية (الوزن)

الموسيقى عنصر أساسي من عناصر الشعر ، بل لعله أساس الشعر ؛ لأنه " بعد النية كلام موزون مقفى يدل على معنى " [٢٥]. والموسيقى في الشعر ليست حلية خارجية ولازخرفا تزين العمل الشعري ، بل هي وسيلة من أقوى وسائل الإيحاء وأقدرها على التعبير عن كل ما هو عميق وخفي في النفس [٢٦]. وقد تنبه النقاد القدامى إلى موسيقى الشعر من خلال الوزن والقافية إذهما ركنان أساسيان من أركان القصيدة العربية[٢٧]. وقد بنى الحطيئة قصته على البحر الطويل ، وقد منحه هذا البحر طول النفس في البيت الواحد ، فضلا عن المساحة الواسعة ، ليعبر عن انفعالاته النفسية ، مستخدما قافية الميم وألف الاطلاق التي جاءت مناسبة لموضوع القصيدة ، وساعدته على اطلاق آلامه وشكواه من قسوة الحياة ، وهو مناسب أيضا للتفاصيل الدقيقة ، ومعلوم أن الطويل ، يتكون من ثمان تفعيلات وهذا يعني أنه يحتاج من الشاعر إلى نفس كاف ، ولما كانت القصة الشعرية تحتاج إلى مثل هذا النفس ، فقد قص الشاعر أحداث قصته على هذا الوزن ، وبذلك يكون الشاعر قد وفق في اختياره [٢٨].

ثالثا : الأساليب البلاغية

يغلب على القصة الشعرية الأسلوب الخبري ، وغرضه المجازي ، في الأبيات الأولى (أظهار الضعف)، كقوله : (طاوي ثلاث)و (أخي جفوة) و (أفرد في شعب) و (حفاة عراة)، وجاءت هذه الأخبار مناسبة للسرد والوصف . وفي البيت السادس والثامن ، جاءت الأخبار بغرض مجازي هو (إظهار الحيرة)، كقوله : (ضيف ولا قرى) و(فروّى قليلا) . ومن الأساليب الانشائية القليلة (النداء)، فقد جاء في البيت السادس لغرض مجازي وهو التضرع كقوله : (هيا رباه)، فضلا عن أساليب الأمر والنهي التي نلحظها في البيت السادس والسابع ، وقد افادت غرضا مجازيا وهو (الالتماس)، كقوله : (اذبحني) و (يسَر)و (لاتعتذر). أما الأساليب البيانية ، فهي قليلة ؛ لأن الشاعر اعتمد السرد لأحداث قصته، ومن الصور البيانية قوله:(عاصب البطن)و (ثلاثة أشباح)، وهي كناية عن صفة الجوع وشدة هزلهم وضعفهم.

ومن الأساليب البديعية التي نلحظها في القصة (الطباق)، وهو الجمع بين الشيء وضده . كقوله :(الغرم والغنم) و(البؤس والنعمى) و(البخل والكرم) و(الفقر والغنى) و (البشر والحزن)،(القدرة والعجز) ، (الذم والمدح)، وهي ثنائيات ضدية سعى الشاعر إلى مزجها في كيان واحد ؛ لتعبر عن حالاته النفسية والاحاسيس الغامضة التي تتعانق فيها المشاعر المتضادة [٢٩].وتأتي أهمية التضاد من كونه يشكل عنصر المخالفة، وهذه المخالفة تغدو فاعلية أساسية يتلقاها القارىء عبر كسر السياق والخروج عليه ، ومفاجأته بما هو غير متوقع [٣٠]. ونلحظ أسلوب الجناس الناقص في البيت الرابع عشر في قوله :(غرموا غنموا)، وهي أساليب تعين على تجميل النص وتقوية المعنى وشحنه بالطاقة الدلالية [٣١].

ومن الأساليب الأخرى التي استخدمها الشاعر في القصة (التناص)، وهو أن "يدخل النص في علاقة مع نصوص أخرى " [٣٢].

ونلحظ هذا التناص في البيت السابع في قوله : (أيا أبت اذبحني ويسر له طعما)،وهو تناص مع قوله تعالى:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاء اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ }[٣٣]. وقد ساعد هذا التناص في تضخيم الحدث وتكثيف صورة القلق والارتباك؛[٣٤] لأن "الارتداد إلى الماضي واستحضاره من أكثر الظواهر فاعلية في عملية الابداع ،إذ يحدث نوع من التماس بين النص الحاضر والنص الغائب يؤدي إلى تشكيلات ابداعية تداخلية ، قد تحيل إلى التماثل أو التخالف أو المناقضة" [٣٥]. وقد دل التناص على أن القرآن من المصادر التي استعان بها الشاعر ليعبر عن رؤيته، إذ أعاد إلى أذهاننا قصة سيدنا إبراهيم وابنه اسماعيل (عليهما السلام)، وكيف انتهت القصة بفداء سيدنا اسماعيل بكبش عظيم ، وكأن الشاعر أراد أن يقول إن الله سبحانه وتعالى في هذه القصة فدى الابن بنحوص سمينة ممتلئة باللحم والشحم ، وهكذا أبدع الشاعر في توظيف النص القرآني .

ـ الخاتمة

احتوت القصة الشعرية على العناصر الدرامية بكل أبعادها من حدث وشخصيات وزمان ومكان وعقدة وحل ، وقد ساهمت هذه العناصر في إبراز مفهوم الكرم وعاطفة الألم والفقر ، التي ملأت قلب الشاعر ، وسيطرت على مشاعره . ولا نعلم إذ كانت هذه القصة حقيقية أم خيالية إلا أنها جاءت ولها بداية ووسط ونهاية ، تعتمد على التسلسل المنطقي في سرد الأحداث والأفكار والمعاني ، وتسرد بضمير الغائب ، مما يوحي بعدم تماهي السارد مع إحدى شخصيات القصة ؛ لذلك كان زمن حدوثها هو نفسه زمن سرد القصة . وفضلا عن هذا فقد عجت القصة بالأساليب الفنية والصور الرائعة ، التي استمدها الشاعر من بيئته المحيطة ، ومن مخزونه الثقافي ، موظفا هذه الأساليب والصور ؛ لشد انتباه المتلقي وتنمية الحدث الدرامي .

ـ الهوامش

(١)من حديث الشعر والنثر، طه حسين ، دار المعارف مصر،١٩٩٥: ٢٢.

(٢)النثر القديم أبرز فنونه وأعلامه ، عمر عروة : ٩.

(٣)القصة الشعرية في العصر الحديث ، عزيزة مريدين :٢٧.

(٤)السرد في الشعر العربي الحديث ، فتحي النصري : ٦١.وينظر: الأدب وفنونه ، عز الدين اسماعيل : ١٨٦.

(٥)فن القصة بين النظرية والتطبيق ، نبيلة إبراهيم : ٢٤٢.وينظر : القصص الشعرية في الإبداع السعودي المعاصر ، لطيفة المخضوب : ٥٣.

(٦)فن القصة بين النظرية والتطبيق : ٢٤٢.

(٧)م ،ن : ٢٣٨.

(٨)القصة الشعرية في العصر الحديث ، عزيزة مريدين : ٢٣.

(٩)م ، ن : ٢٤.

(١٠)ديوان الحطيئة،برواية وشرح ابن السكيت،دراسة وتبويب مفيد محمد قيمة:١٧٨-١٧٩

(١١) مدخل إلى تحليل النص الأدبي ، عبد القادر أبو شريفة : ١٢٤.

(١٢) فن القصة ، محمد يوسف نجم : ٦١.

(١٣) القصة القصيرة ، آيانرايد : ١٣٧.

(١٤) فن القصة القصيرة ، رشاد رشدي : ٥٤.

(١٥) القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا ، يوسف الشادوني : ١٩٣.

(١٦) فن القصة ، محمد يوسف نجم : ٥٣.

(١٧) الأسس النفسية للإبداع الأدبي ،عز الدين إسماعيل : ١٨١.

(١٨) فصول في النقد وتاريخه ، دراسة وتطبيق ، ضياء الدين الصديق : ٢٨٦.

(١٩) طبيعة الدراما ، إبراهيم حماده : ٢٠.

(٢٠) فن الشعر ، أرسطو ،ترجمة، عبد الرحمن بدوي : ٥٠.

(٢١) دراسات في نقد الرواية ، طه وادي ، ٣٦.

(٢٢) تحولات الحبكة،خليل رزق: ٦٩. وينظر: قضايا الشعر المعاصر،نازك الملائكة : ٢٢٥

(٢٣)طرائق تحليل القصة : الصادق قسومة: ١١٥.

(٢٤)ينظر : م، ن : ٣٧.

(٢٥) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر :٦٠.

(٢٦) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي ، موسى ربابعه : ١٢٩.

(٢٧) ينظر: بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري: ١٦٢.

(٢٨) ينظر : م، ن : ٢٠٦.

(٢٩) ينظر: المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/ ٤٥٢.

(٣٠) ينظر: بناء القصيدة العربية الحديثة : ٨٤.

(٣١) ينظر: جماليات الأسلوب والتلقي : ١٢٩.

(٣٢) تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) ، محمد مفتاح : ١٢١.

(٣٣) سورة الصافات : ١٠٢.

(٣٤) ينظر : تحليل الخطاب الشعري : ١٢٣.

(٣٥) قراءات اسلوبية في الشعر الحديث، محمد عبدالمطلب : ٢١٨.

_ ثبت المصادر والمرا جع

- القرآن الكريم .
- الأدب وفنونه، عزالدين اسماعيل، دار الفكر ، بيروت، د ط، ١٩٨٣.
- الأسس الفنية للإبداع الأدبي، (في القصة القصيرة)، شاكر عبد الحميد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٥.
- بناء القصيدة العربية الحديثة ، علي عشري ، دار العروبة ، د ط ،د ت.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)،محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، دارالبيضاء ،ط٣، ١٩٩٢.
- تحولات الحبكة (في الرواية)، خليل رزق ،مؤسسة الأشراف للطباعة والنشر ،بيروت، ط١، ١٩٩٨.
- جماليات الأسلوب والتلقي (الصورة الفنية في الأدب العربي) ، موسى ربابعه ، دار الفكر المعاصر ، دمشق ،ط٣، دت.
- دراسات في نقد الرواية ،طه وادي ، دار المعارف القاهرة ، د ت .
- ديوان الحطيئة ، برواية وشرح ابن السكيت ، دراسة وتبويب ، مفيد محمد قيمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١،١٩٩٣.
- السرد في الشعر العربي الحديث ، فتحي النصري ، الشركة التونسية للنشر والتوزيع ، ط١، ٢٠٠٦.
- طبيعة الدراما ، إبراهيم حماده ، دار المعارف ، مصر ، د ت .
- طرائق تحليل القصة ، الصادق قسومة ، دار الجنوب للنشر والتوزيع ، تونس ،دط ،دت.
- فن الشعر ، أرسطو طاليس ،ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧٣.
- فن القصة ،محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، ط١، دت.
- فن القصة بين النظرية والتطبيق ، نبيلة ابراهيم ،مكتبة غريب ،القاهرة ، دت.
- فن القصة القصيرة ،رشاد رشدي ، مكتبة الأنجلو المصرية ،ط٢،١٩٥٩.
- فصول في النقد وتاريخه ، دراسة وتطبيق ، ضياء الدين الصديق ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٩٨٩.
- قراءات أسلوبية في الشعر الحديث ، محمد عبد المطلب، الهيئة العامة للكتاب، ١٩٩٥.
- القصة الشعرية في الأبداع السعودي المعاصر ، لطيفة المخضوب دار الشبل ،الرياض ط١٤١٦،١.
- القصة الشعرية في العصر الحديث ، عزيزة مريدن ، دار الفكر المعاصر،ط١٩٨٤،١ .
- القصة القصيرة ، آيانرايد ، ترجمة ، منى مؤنس ، الهيئة المصرية للكتاب ،مصر،١٩٩٠
- قضايا الشعر المعاصر ، نازك الملائكة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٨، ١٩٩٢.
- مدخل الى تحليل النص الأدبي ، عبد القادر أبو شريفة ، دار الفكر ،عمان ، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، مطبعة الكويت، ط٢، ١٩٩٨.
- من حديث الشعر والنثر، طه حسين ، دار المعارف ،مصر،١٩٩٥.
- النثر القديم أبرز فنونه وأعلامه ، عمر عروة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر، د ت.
- نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ، تحقيق ، كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٢، ١٩٦٢.

Abstract

This paper presents an analytical study of the poem Alahtaih (Almimah) as a model for the poetic story, and we chose this poem; for clarity fiction elements, as almost all the fiction elements of the event, and personalities and the place and time and solving complex completed. The search began at the definition of poetic story, then talk about the dramatic scenes included in the story, and then we take a light on the basic elements of the story of the noodles, right down to the technical characteristics and Conclusion